مصابيح القلوب

كم من قلوب نجدها في ظلام القبر ضيقة الجنبات ، لا تكاد تتسع لنبض حي ، ولا تحس بخفقة ، الا الخفقة الصماء ، ولا ينبع منها غير الدم الاسود ، اذا انعكس في الوجوه متوهجاً فتوردت ، فما هي الا حمرة الحمى الدفينة تتلى بين شغاف الجوانح فلا تتأثر منها حاسة من الحواس فان تلك الحمى قد أخذت عليها عملها فسكادت تختنق فانعقد الدم في تلك الوجوه فبدت في حمرتها المشتهية وما هي الا أشبه (بالسارونج) ينطلق في اجواز الفضاء ، فان هي الا غمضة عين والتفاتها حتى يتفتت هباء تذروه الرياح ثم يكون من بعد ظلام

وكم من قلوب يشع منها النور المتألق في ظلمة العيش وتسكد الايام ، ومعها تألبت عليها الاحداث والنكبات فهي رحبة الجنبات خفاقة حياشة متوثبة في نور اليقين والايمان ، خفقة حية يرجع صداها رفيفها جو من الاطمئنان والامل ، ينفجر من هذا القلب دم الحياة النقي ، يطبع على الوجوه صورة من الجلال وان علتها غبرة النوب وغشي البصر من الهموم ماغشيه فلا يلبث أن يلقي عليه شعاعاً من مصابيح قلبه حتى تراه بصيراً ضاحك السن يسير في وضح من ضوء اليقين والايمان

القلوب المقفلة كثير عديدها في هذا العالم ، وهي التي أظلمت الحياة من ظلها وكثافتها وضربت في مناحيها سرادقات الاحزان ، اما القلوب المضيئة بمصابيحها ، وقليل عديدها ، فهي التي تطوي تلك الظلمات وتوليج فيها النور كما يوليج النهار في الليل

وما الذي نرجوه ايها الانسان في الظلام مهما كان بصرك حديداً ؟ الا تزال تتخبط في دجوره ركبت فيه الظلمات فوق بعضها فتضل في دائرة ضيقة كحدقة العين ولا تحسبنك من الضالين ؟

ان هؤلاء الذين طغوا وبغوا وغضوا من ابصارهم وحسبوا انهم المنفردون في الحياة ، إنما هم الضالون الجانون على الانسانية المعذبة ، يمرحون في باحات الغرور وهي عند الناظرين أضيق من سم الخياط ولكنها تتسع في أعينهم بما تزينه لهم الاوهام وما هم الا في احلام كاذبة يحسبون أنفسهم ايقاظاً وهم رقود . .

قدت نفوس هؤلاء المظلمة من حجارة فجمدت الا عن نفوسهم وقبحت أخبثهم ولكن على ذواتهم وعميت عن عدائهم فأصبحوا لا يشعرون ولا يبصرون ومضوا في سبل الحياة على غير هدى يتخبطون

ان هذه القلوب المظلمة جافة الى حد الجمود ، لا تهزها آلام الانسانية الموجعة العنيفة ، تسمع أنينها وتصغي لشكاتها وتوجعاتها فلا يهتز منها وتر حساس لتخفف مما بها وما ذلك الا لأنها مسجنة في ظلام لا يحمد لها فيه السرى ثم هي تجيح الى حيث تدفعها شهواتها فتلين لعبث مع الشيطان ولكنها لا تعرف سبيلا للاحسان اذ عليها اقفالها لا يفتحها الا الاباله

اما تلك القلوب الكبيرة ذات المصابيح المتلألئة الوضاءة فتهتز اوتارها بعنف لأية اثة انسانية وتتوجع لأوجاعها وتمضي على هدى مصابيحها الى حيث مصدر الانات مهما كانت الشقة نائية والمزار بعيداً فتتعهد المصاب بما فطرت عليه من رفق وحنان وبما الهمها الله من لدنه رحمة

تنزع هذه القلوب الفياضة بالعواطف الخيرة الى الخير نزوع من ذرىء فيه فكان طبعاً متأصلا في صميمها فهي لا تتعمل الخير ولكنها تندفع اليه بغريزتها

على انك اذا تبينت مصابيح هذه القلوب الفيحاء ليست من جوهر واحد وانما تختلف باختلاف العناصر التي تتركب منها فانت ترى افراداً يجنحون الى الخير من تلقاء انفسهم لما اشربته قلوبهم من محض حبه وهؤلاء هم ابناء الانسانية البررة يسيرون على ضوء كهربائي يراق من قلوبهم ، بل على نور من السماء خص الله به هذه القلوب المؤمنة الصادقة لانهم لا يطمعون في الخير الا للخير لذاته ابتغاء مرضاة الله لا يرجون من الناس جزاء ولا شكورا

ومنهم من يصنعون فعل الخير حاجة في النفس تختلف باختلاف الوانها فهذا يتعمله لكسب ثناء الناس عليه وذاك لجر مغنم يرجوه وغيره لقضاء حاجة ينشدها وامثال هؤلاء تستضيء قلوبهم تبعاً للاغراض المنشية فيها ، هذا بمصباح غازي كبير وذاك بمصباح زجاجي صغير وغيره (بفتيل) وهم على كل حال يحسنون ولكنهم يعلقون احسانهم على أمل هم من الآمال .